مجلة العلوم وافاق المعارف

Journal of Science and Knowledge Perspectives An international scientific

ISSN 2800-1273

نظرية الحقول الدلالية وصناعة المعاجم

Semantic field theory and lexicography

عطالله بوخيرة[1]*

[1]مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية (وحدة ورقلة)، (الجزائر)،

attallahbokh@gmail.com،

تاريخ ارسال المقال:2022/05/13	تاريخ القبول:2022/05/16	تاريخ النشر: 2022/06/01

***عطالله بوخيرة**

الملخص:

في هذه الورقة البحثية نحاول إثبات أهمية نظرية الحقول الدلالية في صناعة المعاجم، وما قدمته في سبيل تطوير هذه الصناعة، خاصة في مسألة جمع الرصيد المفرداتي من خلال حصر الألفاظ في مجالات دلالية محددة, والكشف عن الفجوات المعجمية، والثغرات المفرداتية، ومسألة ترتيب المواد من خلال تسهيل تحديد حقل الكلمة، ومجال استعمالها، وضبط المعنى المقصود من المشترك اللفظي, ومن ثمّ الترتيب وفق هذا المنظور، ومسألة تعريف المداخل وضبط المعنى المعجمي.

الكلمات المفتاحية: المعجم ;الحقول الدلالية ;.صناعة المعاجم;علم الدلالة.

Abstract :

In this research paper, we try to prove the importance of semantic fields theory in the lexicon industry, and what it has provided in order to develop this industry, especially in the issue of collecting vocabulary balance by limiting words in specific semantic fields, and revealing lexical gaps, lexical gaps, and the issue of arranging materials through Facilitating the definition of the word field, the field of its use, and controlling the intended meaning of the verbal consonant, and then arranging according to this perspective, and the issue of defining the entrances and controlling the lexical meaning.

Keywords: lexicon, semantic fields, lexicography, semantic.

مقدّمة:

إنّ نشأة نظرية الحقول الدلالية قد مرّت بمراحل وفترات جعلت منها إحدى النظريات المهمة في علم اللغة الحديث, فمن فكرة دو سوسير وبذرته الأولى التي زرعها في عقول وأذهان طلابه الذين أكملوا درب معلمهم وساروا نهج خطاه, إلى تطبيق هذه النظرية على أيدي علماء ،لا يقلّ شأنهم عن دي سوسير وبخاصة في مجالات القرابة والألوان والنبات والحيوان لتكون نتائجها – بعد التطبيق- في غاية الدّقة العلمية, وتثبت جدارتها وأهميتها من بين النظريات في بيان وتحليل المعنى، وهذا ما حفز علماء الغرب على تطوير وتوسيع هذه النظرية في تطبيقاتها على مجالات كثيرة ومختلفة، مثل الترجمة، والتعليمية، والنصوص الأدبية، وصناعة المعاجم وغيرها، لتنتقل بذلك من كونها نظرية إلى منهج في الدراسة له تطبيقاته العديدة. سنحاول في هذه الورقة البحثية إثبات أهمية هذه النظرية في صناعة المعاجم، وما قدمته في سبيل تطوير هذه الصناعة، خاصة في مسألة جمع الرصيد المفرداتي من خلال حصر الألفاظ في مجالات دلالية محددة, والكشف عن الفجوات المعجمية، والثغرات المفرداتية، ومسألة ترتيب المواد من خلال تسهيل تحديد حقل الكلمة، ومجال استعمالها، وضبط المعنى المقصود من المشترك اللفظي, ومن ثمّ الترتيب وفق هذا المنظور. ومسألة تعريف المداخل.

المبحث الأول: نظرية الحقول الدلالية

التواصل بين المجموعات البشرية أساسه الاتفاق حول مجموعة من الكلمات في معانيها؛ لأن الاستعمال اللغوي يفرض وجود ذلك, إلاّ أن الأمر وإن كان فيه بساطة مع بعض الكلمات فهو صعب خاصة مع الكلمات المعنوية في تحديد دلالتها وهذا راجع إلى التفاوت في الفهم الشخصي, وبمقتضى تجربة كل فرد وطبيعة البيئة اللغوية ومستوى التعلم وغيرها من محددات الدلالة. ومن هنا كان تحديد الدلالة المعجمية – الذي يسهم في تضييق جوانب الاختلاف وتقريب المفاهيم بصورة مشتركة – أمراً مهماً في استعمال المعاجم[1] التي تسعى جاهدة إلى استقطاب كل ما يسهم في إبراز المعنى وتحديد دلالته, إنْ بذكر معنى الكلمة أو ما يرادفها أو يناقضها لتفسير معناها, أو بتقديم معلومات عن أصل وضعها وتطورها التاريخي والاشتقاقي, أو إدراجها في مختلف سياقاتها اللغوية. ولكن مع كلّ هذا فاللبس يبقى يحيط ببعض معاني الكلمات والغشاوة ملتصقة في فهمها وخاصة تلك الكلمات المتقاربة والمتشابهة.

ولذلك فإنّ " أحسن طريقة لفهم معنى الكلمة هو وجودها في التركيب الذي يُسهم في إبراز معناها ويجعلها متباينة عن تلك التي تقاربها أو تبدو مشابهة لها, بالإضافة إلى الوظائف الدلالية ذات الارتباط بالمحيط والثقافة اللذين يعبران عن دلالة اللفظ المستقلة عن كلّ كلمات اللغة "[2]

فثقافة المجتمع ونظامه اللغوي يحدد أفكارنا وتصوراتنا؛ أي أنه لا فكر بدون لغة كما أنه لا لغة بدون فكر , فجلّ ما نتكلم به يسبح في بحر أفكارنا وبه تتحدد مرجعية الكلمات فكل كلمة لها مرجعيتها في الفكر واستخدمها في الواقع اللغوي لا يكون أوحداً وبمعزل عن التركيب أو المفهوم العام الذي تندرج تحته؛ لأن تحديد مدلولها لا يتأتى إلا عن طريق استخدامها في مجال معين، أو ضمن قائمة بمفردات اللغة كون اللغة عبارة عن نظام متناسق ومتشكل من مجموعات لغوية لا متناهية , لذلك فالمعنى يتحدد ويتضح أكثر حين ظهوره في بنية المعجم الذي يملكه الفرد, أو وِفق ما يطرأ على معاني الكلمات من تغيّرات وتبدّلات ضمن حقل معين[3].

وبمقتضى الخبرة البشرية والنظرة المتأملة للوجود وأمام هذا الكم الهائل من المفردات استطاع الإنسان أن يُركب مجموعات نسقية تتداخل فيما، بينها لتدل على النوع أو الجنس أو أصناف من الموجودات المادية والمعنوية، وتنتظم الكلمات ضمن هذا التنسيق ذي التصنيف الأعلى بشكل متناظم, وكل كلمة من هذا المجموع تقع تحتها جملة أخرى من الألفاظ والمعاني والأحداث وتجمع تحت عنوان واحد لتكون بذلك مفردات اللغة ضرباً من التصنيف للموجدات والذي يعدّ أساساً في فهم العلاقة فيما بينها , وهو إدراك لنظرية الحقول الدلالية[4]..

بناءً على ما سبق يتطلع المرء شوقاً لمعرفة مفهوم هذه النظرية, وإدراكٍ لجملة المبادئ التي تقوم عليها وكذلك أنواعها, وكيف نشأت هذه النظرية وعلى أنقاض من؟ كلّ هذا وذاك سنحاول الإجابة عليه في مقبل الدراسة.

المطلب الأول: مفهوم النظرية

هناك مجموعة من المفاهيم نوردها كما يلي: " الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو مجموعة من المفردات التي تتلاقى معانيها وترتبط فيما بينها بملامح دلالية مشتركة, وتوضع تحت لفظ عام يجمع بينها. أو هو مجموعة من مفردات اللغة تربطها علاقات دلالية, وتشترك جميعا في التعبير عن معنى عام يعدّ قاسماً مشتركاً بينها جميعاً وإليه يردّ الكلم المنضوي تحت الحقل المعين وبه تحصل الحقلية, ومثال ذلك: كلمات الألوان في اللغة العربية إذ هي تقع تحت مصطلح عام هو (لون), وتضم ألفاظاً مثل: أحمر, أخضر, أزرق ..."[5]. وقد عرّفه أولمان Ullmann بقوله: " هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبّر عن مجال معين من الخبرة"[6]؛ أي أنّ

الحقل الدلالي هو عبارة عن تكتل وتكامل لمجموعة من مفردات اللغة مع بعضها البعض بصورة دلالية لتعبر عن تصور أو موضوع معين.

ويعرفه جون ليونز Lyons بأنه: " مجموعة جزئية لمفردات اللغة"[7] ؛ أي أنّ الحقل الدلالي يضم مجموعة كثيرة أو قليلة من الكلمات تتعلق بموضوع معين ولا تخرج عن إطاره, كما أنّ في تعريف جون ليونز لمحة إلى أنّ الحقل ليس كل اللغة بل جزء من مفرداتها , وهذا فيه إشارة إلى تعدد الحقول الدلالية في اللغة الواحدة.

ويقول أصحاب هذه النظرية إنّ معنى الكلمة يجب أن يفهم كذلك من مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً وبالمعنى العام التي تندرج تحته , أو كما يقول جون ليونز: (يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي)؛ لأنّ معنى الكلمة عنده هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في الحقل المعجمي وعلاقتها بالمصطلح العام، ويعدّ هذا هدفاً من أهداف تحليل الحقول الدلالية الذي هو بالأساس جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معيناً, والكشف عن صلاتها وعلاقاتها بين بعضها, وصلتها باللفظ العام الجامع لتشتتها, وهو ما يوافق معنى الكلمة عند جون ليونز[8].

المطلب الثاني: مبادئ النظرية

انبنت نظرية الحقول الدلالية على فكرة المفاهيم العامة التي تنفي العشوائية عن مفردات اللغة وتؤلف بينها بشكل أقل ما يقال عنه أنه منتظم يساير المعرفة والخبرة البشرية الضابطة للصلة الدلالية, أو التقارب الدلالي بين كلمات لغة محددة , التي يجمعها لفظ عام؛ ولأن اللغة عبارة عن نظام وقيمة كل عنصر من هذا النظام تتحدد بموقعه وعلاقته داخل هذا النظام, فهذا يؤكد بشكل أكثر مدى التآلف والتراص بين الكلمات مع بعضها البعض داخل الحقل الواحد, أو في مجموعة الحقول فلو أردت إقحام – مع كل ما تتضمنه هذه الكلمة من معانٍ – كلمة أخرى في حقل متناسق ومترابط, أو أبعدت عنه أو غيرت موضع إحدى كلماته فسيؤدي ذلك حتماً إلى اضطراب يؤثر في مجموع مفردات الحقل الواحد[9] , " ويتفق أصحاب هذه النظرية إلى جانب ذلك على عدد من المبادئ والأسس التي ترتكز عليها نظرية الحقول الدلالية وهي:

1- لا وحدة معجمية Lexeme عضو في أكثر من حقل.

2- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

3- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

4- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي"[10]

انطلاقاً من هذه المبادئ يبدو جلياً حرص أصحاب هذه النظرية على شمول كافة مفردات اللغة بالانضواء تحت حقل معين ولا يشذّ عن ذلك أحدها مطلقاً , كما وفي نفس الوقت لا يصلح أن تقع كلمة واحدة في أكثر من حقل؛ لأن هذا معناه بداية للعشوائية والإخلال بدقة وعلمية النظرية. كما يحرصون على عدم إغفال أهمية السياق في تحديد وجهة الوحدات المعجمية إلى حقولها المعينة ؛ لأن السياق في ذاته يختصر البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة, ودلالته تستمد من السياق الاجتماعي وسياق المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره من متكلم ومستمع, والمناسبة التي قيل فيها الكلام والظروف المحيطة به. كما يلحظ من هذه المبادئ اهتمام واضعيها بالدلالة النحوية وأثرها البالغ في إبراز المعنى وتحديده, فلا يصح بل يستحيل دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي؛ إذ لا يمكن فهم كلمة (خضراء الدمن) بالفصل بينها وتحديد دلالة كل كلمة على حِدا, بل يتضح معناها من خلال تركيبها النحوي , أو قل إنّ معناها ناتج عن تركيبها ولولاه لما كان , ولكن لا بد أن نشير إلى أنّ هذا المبدأ لا ينطبق على كل مفردات اللغة بل على بعضها والتي تترابط فيما بينها عن طريق الاستعمال.

المطلب الثالث: نشأتها عند الغرب وجذورها لدى العرب

الفرع الأول: نشأتها عند الغرب

تعود بداية نظرية الحقول الدلالية عند الغرب إلى دي سوسير, وإن لم تتبلور ملامح هذه النظرية معه بشكل واضح لا من حيث المصطلح كما يشيع الآن ولا من حيث بلورة وتجميع الأفكار بصورة متماسكة لهذه النظرية, إلاّ أنه رغم ذلك يبقى الملهم الأول لفكرة هذه النظرية ومن ثمّ تطورها على يد من جاؤوا بعده, وذلك حين اعتبر أن هناك ضربين من العلاقات لا ثالث لهما بهما اللغة قائمة, ضرب من العلاقات التركيبية أو النظمية يمتد أفقياً وفي شكل متتابع, وضرب من العلاقات العمودية لا يفصل بين الألفاظ بل يفعل نقيض ذلك وبشكل غامض، سواء بين الكلمة ومثيلاتها في الصيغة الشكلية أو الصرفية مثل: كلمة علّم التي توحي بكلمات أخرى من ذات القالب , كَ(يعلّم , معلم , تعليم ...) أو بين الكلمة وغيرها من الكلمات التي لا تقاربها إلاّ من حيث الدلالة والمعنى مثل: كلمة تعليم التي توحي إلى الذهن بكلمات أخر, كَ(تربية , تكوين , ثقافة ...)[11]."

وبمسعاه هذا توفّق دو سوسير إلى تحديد التوجهين الكبيرين اللذين يمكن أن تنحوا نحوهما دراسة العلاقات بين الأدلة اللغوية

1- محاولة وضع بناءات صورية للمدلولات

2- محاولة وضع بناءات للحقول الدلالية"[12].

"ولم تتبلور فكرة الحقول الدلالية إلاّ في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي على أيدي علماء من سويسرا وألمانيا, أمثال Ispen عام 1924, و Jolles عام 1934, و Prozig من العام نفسه, و Trier كذلك . هذا الأخير تعدّ دراسته التي قام بها في هذا المجال إحدى التطبيقات المبكرة على الألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة"[13], إذ درس في كتابه (المفردات الألمانية في المقياس التصوري للإدراك) الحقل التصوري للذكاء في اللغة الألمانية عند الكتّاب الصوفيين في القرنيين الثالث عشر والرابع عشر, وتمخّضت دراسته هذه عن آراء وأفكار عن الحقل الدلالي يمكن إيجازها فيما يلي:

- مجموع مفردات لغة معينة عبارة عن تسلسل لمجموعة من الكلمات أو الحقول المعجمية وكل حقل منها يغطي مجالاً محدداً على مستوى المفاهيم (حقل التصورات), وكلا الحقلين يتكون من وحدات متجاورة ومتماسكة يشدّ بعضها بعضاً كحجارة الفسيفساء.

- يرى أنّ الثروة اللفظية – في إطار المنظور التزامني السنكروني – كلٌّ يتفرع دلالياً في شكل حقول متدرجة, ومعنى الكلمة الواحدة لا يتأتى إلا من خلال معاني الكلمات القريبة منها دلالياً.

- دلالة المفردات عنده تتحدد من خلال عددها وموقعها في الحقل الكلي , إذ أنه ليس بالإمكان تحديد معنى الكلمة دون معرفة بقية كلمات الحقل ومدى العلاقات الدلالية التي تربط بينها[14].

"كما قام R.Meyer باختيار ثلاثة أنماط من الحقول الدلالية ودرسها , وهي:

1- النظام الطبيعي .

2- النظام الفني (مثل الألقاب العسكرية , حيث قدّم له دراسة عام 1990).

3- النظام شبه الفني مثل مصطلحات الصّيادين والحرفيين"[15].

ولم تقتصر الدراسات في مجال الحقول الدلالية على علماء اللغة فقط, بل امتد أمرها إلى علماء في مجالات وتخصصات أخرى, حيث قام علماء أمريكا في الانثربولوجيا بتطبيقات متنوعة لفكرة الحقول الدلالية, وعلى الخصوص في مجالات القرابة, والنبات, والحيوان, والألوان, والأمراض. وفي فرنسا قام عالم الاجتماع

واللغوي الفرنسي جورج ماطوري 1953 وأتباعه بالتركيز على مجموعة الألفاظ المرتبطة بالعالم المادي, والاقتصادي, والسياسي, والاجتماعي, وهي ألفاظ لها قيمة فعّالة ووزن خاص كونها وليدة الحاجة ولمسايرة المفاهيم الطارئة أو الحديثة في المجتمع إبان حقبة معينة, وبالتالي انحصر عمل ماطوري على الحقول التي تتعرض ألفاظها للتغيّر والامتداد السريع, وتعكس تطوراً هاماً في المجالات السابق ذكرها[16].

وعليه يمكن القول إنّ نشأة نظرية الحقول الدلالية قد مرّت بمراحل وفترات جعلت منها إحدى النظريات المهمة في علم اللغة الحديث, فمن فكرة دو سوسير وبذرته الأولى التي زرعها في عقول وأذهان طلابه الذين أكملوا درب معلمهم وساروا نهج خطاه, ورموا مرمى حجره ودرسوا جملة أفكاره وفرضياته وحللوها تحليلاً علمياً ومنهجياً, إلى تطبيق هذه النظرية على أيدي علماء لا يقلّ شأنهم عن دي سوسير وبخاصة في مجالات القرابة والألوان والنبات والحيوان لتكون نتائجها – بعد التطبيق– في غاية الدّقة العلمية, وتثبت جدارتها وأهميتها من بين النظريات في بيان وتحليل المعنى. وهذا ما حفز علماء الغرب على تطوير وتوسيع هذه النظرية في تطبيقاتها على مجالات كثيرة ومختلفة مثل: الترجمة والتعليمية والنصوص الأدبية وصناعة المعاجم وغيرها لتنتقل بذلك من كونها نظرية إلى منهج في الدراسة له تطبيقاته العديدة , وفي مظان الحديث عن التطبيق دائماً وبعد الالتفات إلى التاريخ وراءاً نلفي لعلماء العربية سبقٌ في ذلك وبقرون عديدة, وذلك فيما يعرف عندهم بكتب الموضوعات والألفاظ وقبلها الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد؛ مما يعني أولاً أنّ العرب قد اهتدوا في فترة مبكرة إلى فكرة تصنيف المدلولات والمفاهيم في مجالات وحقول دلالية, ويعني ثانياً أنّ لنظرية الحقول الدلالية الغربية جذوراً عند العرب وأصولاً.

الفرع الثاني: جذورها لدى العرب

إنّ نظرية الحقول الدلالية ارتبطت كثيراً بالمعاجم وصناعتها أكثر من أي شيءٍ آخر لذلك فالعمل المعجمي لم يعد إلى حظيرة علم اللغة، إلاّ عندما أعطت هذه النظرية لمفردات اللغة شكلاً تركيبياً يستمد كلّ عنصر فيه قيمته من مركزه داخل النظام العام, ووضعت المفردات في شكل تركيبي ينفي عنها التسيب المزعوم , فالغرب لم يؤلفوا معاجمهم الموضوعية إلاّ بعد اكتشافهم نظرية الحقول الدلالية ؛ أي في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ مما يعني أنهم تأخروا كثيراً في صناعة هذا النوع من المعاجم ذلك إذا قورنوا بنظرائهم من العرب.

فإذا عدنا بالزمن إلى الوراء وبالتحديد إلى القرن الثاني والثالث للهجرة ألفينا كتباً ورسائل جَمعت ألفاظاً خاصة بحقل أو موضوع معين مثل: "خلق الإنسان للأصمعي وأبو عمرو الشيباني ومثله لقطرب والفرّاء

والسجستاني, وخلق الفرس الذي منه للأصمعي والسجستاني وغيرهم, وكتاب الخيل لابن الكلبي مثلاً, وكتاب الإبل للسجستاني وغيره, وكتاب الوحوش للأصمعي و ابن السكيت ... , وكتاب الحشرات للسجستاني، وابن السكيت أيضاً ومثلها الكثير من الكتب التي تناولت الأيام والليالي والشهور والأوقات وأسماء الساعات على شكل موضوعات, وكتب الحرب والسلاح, ومصنفات أخرى في الطير والعقاب والجراد والذباب, وغير ذلك من الكتب والرسائل والمعاجم الموضوعية التي زخر بها التراث العربي والتي صنفت الكلمات على أساس وجود خصائص معينة، تجمع بينها مثلما هو اليوم عند الأوروبيين والغرب في معاجمهم الموضوعية"[17].

يقول الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة: " يلفت النظر – إلى حد كبير – الشبه الواضح بين معاجم الحقول الدلالية الحديثة ومعاجم الموضوعات القديمة (في اللغة العربية) فكلاهما يقسّم الأشياء إلى موضوعات, وكلاهما يعالج الكلمات تحت كلّ موضوع , وكلاهما قد سبق بنوع من التأليف الجزئي المتمثل في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد ودراستها تحت عنوان واحد"[18].

ويستشف من هذا القول أنّ الكتب والرسائل اللغوية التي كانت بادرة التأليف المعجمي لا ترقى إلى أن تكون معاجم ويصحّ أن تكون كمرحلة من مراحل ظهور المعجم. فهذه الرسائل المدوّنة حسب الموضوعات تشكل حقلاً بِكراً للدراسات اللغوية، طِبقاً لنظرية المجال الدلالي وظهورها كان أسبق بقرون قبل بروز نظرية الحقول الدلالية عند الغرب ومن ثمّ تأليف المعاجم على إثرها, لكن وإن كان هناك شبه واضح بين المعاجم الموضوعية عند العرب ومثيلاتها عند الغرب، إلاّ أنّ هناك فروقاً بينهما من حيث الهدف والمنهج, فعلماء العربية كان هدفهم الأول الحفاظ على لغتهم العربية بأيسر المناهج وأقدرها على جمع الألفاظ دون تداخلها في بعضها البعض أو الاختلاط فيما بينها, فآثروا الهدف على حساب المنهج لذلك أشبعت معاجمهم نقداً وتصويباً بسبب الأخطاء المنهجية في التأليف من ذلك:

- عدم إتباع منهج معين ومحدد في جمع الكلمات, وذلك ما يفسر وجود ثغرات مفرداتية كبيرة.

- تصنيف الموضوعات وتبويبها لا يخضع لتسلسل منطقي .

- تجاهل العلاقات بين الكلمات داخل الموضوع الواحد, بعدم تبيانها أو ذكر أوجه الشبه والخلاف بينها .

- قصورها الواضح في شمول كافة المفردات وحصرها في حقول معينة[19].

أمّا علماء الغرب فكان هدفهم يصبّ في المنهج الذي تسير عليه معاجمهم, فبعد التنظير لفكرة الحقول الدلالية وتطويرها "تبذل منهم الآن محاولات عديدة لتصنيف معاجم اعتماداً على النظرية, كونها قد أحدثت

تحولاً جريئاً في منهجية البحث العلمي بناءاً ونقداً وبخاصة في مسألة جمع الرصيد المفرداتي تفادياً للثغرات, وترتيب المواد تيسيراً للبحث, وفي تعريف المدخل الذي كثيراً ما كان يستعصي على المعجميين دقته"[20], ولذلك فإنّ أهم ما يميز المعاجم الأوروبية الحديثة هو:

– استفادتها من تطور أبحاث اللغة ومناهجها , وتطور الأجهزة المساعدة في جمع المادة وتصنيفها .

– الاعتماد على أسس علمية ومنطقية في تصنيف الموضوعات وتبويبها, وفي رصد و تحديد أنواع العلاقات بين المفردات داخل الحقل المعجمي الواحد.

– بيان العلاقات الكائنة بين كلمات الحقل المعين, ووضعها في صورة خصائص أو ملامح تمييزية تتلاقى وتتقابل في الحقل الواحد.

– الانتقال بالعمل المعجمي من الجهد الفردي وعمل الأفراد إلى الجهد الجماعي وعمل المؤسسات والهيئات العلمية الكبرى.

– تعميم الدراسة بالنسبة للحقول الدلالية وشمولها عدداً من لغات العالم في وقت واحد[21].

المطلب الرابع: أنواع الحقول

يقسم أولمان Ullmann الحقول إلى ثلاثة أنواع هي:

1– الحقول المحسوسة المتصلة : ويمثلها نظام الألوان في اللغا ؛ إذْ أنّ مجموعة الألوان امتداد متصل يمكن تقسيمه بطرق مختلفة , وتختلف اللغات فعلاً في هذا التقسيم .

2– الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة: ويمثلها نظام العلاقات الأسرية ؛ فهو يحوي عناصر تنفصل واقعاً في العالم غير اللغوي, وهذه الحقول مثل المحسوسة المتصلة يمكن أن تصنف بطرق متنوعة وبمعايير مختلفة.

3– الحقول التجريدية : وتمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية , وهذا النوع من الحقول يعدّ أهم من الحقلين المحسوسين نظراً للأهمية الأساسية للغة في تشكيل التصورات التجريدية[22].

وقد وسّع بعض الدارسين مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع التالية:

أ- الكلمات المترادفة والمتضادة: ويعتبر جولز A.Jolles أول من أدرج ألفاظ الترادف والتضاد ضمن الحقول الدلالية ؛ لأنّ بين هذه الكلمات ما يجمع بينها بشكل منتظم ويدخلها في بوتقة واحدة, وهو الدافع الأساسي لتكون معاً وفي حقل واحد, وتربط بينها علاقة واحدة إما الترادف أو التضاد .

ب- الأوزان الاشتقاقية: ويطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية, وقد أشار إليها من قبل دو سوسير حين اعتبر أنّ الدليل بإمكانه أن يخضع إلى نوعين من العلاقات الترابطية إحداها تلكم المبنية على الصيغة أو الوزن ومثّل لها بكلمة تعليم التي تستدعي كلمات من جنسها الاشتقاقي كعلّم, يعلّم ... , فالعلامة الصرفية تعدّ ملمحاً دلالياً مشتركاً يمكن أن تتلاقى فيه بعض الكلمات لتكوّن حقلاً دلالياً صرفياً, ومثاله في العربية كثير, فصيغة فِعالة تدلّ على المهن والحرف مثل: نِجارة – فِلاحة – خِياطة – سِياكة – جِراحة – قِيادة ...

ج- أجزاء الكلام وتصنيفاته النحوية: الكلمة في الكلام لا تخرج عن أن تكون اسماً أو فعلاً أو حرف, والاسم قد يصنف حسب موقعه في الجملة وحالته النحوية والإعرابية إلى أنواع كأن يكون فاعل أو مفعول به أو مبتدأ أو خبر ... وكذا الأمر نفسه بالنسبة للفعل وللحرف حيث يتغير نوعه وتصنيفه النحوي بتغير موقعه في الجملة. انطلاقاً من هذا يتسنى لنا إقامة حقول على أساس من أصناف الكلام كحقل الأسماء، وحقل الأفعال، وحقل الحروف، وداخل كل حقل حقول أخرى مبنية على التصنيفات النحوية.

د- الحقول السنتجماتية: وتمثل مجموعات الكلمات التي ترتبط فيما بينها عن طريق الاستعمال, ولكنها لا تقع أبداً في نفس الموقع النحوي , ويعدّ بورزيغ W.Porzig أول من درس هذه الحقول حين اهتم بهذه الكلمات: كلب – نباح , فرس – صهيل , يسمع – أذن ... وغيرها , والعلاقة واضحة بين تلك الكلمات؛ إذ لا يمكن أن تكون إلاّ معها في الاستعمال, فنباح لا تليق إلاّ بالكلب، والصهيل إلاّ بالفرس[23].

المبحث الثاني: صناعة المعاجم

المطلب الأول: الصناعة المعجمية الحديثة

الصناعة المعجمية lexicography, أو صناعة المعاجم تعني في الاصطلاح عملية تصنيف وتأليف المعاجم وذلك بتطبيق الأسس النظرية التي يجب أن يتضمنها كل معجم, وقد حددّ علي القاسمي تلك الأسس بخمس خطوات أساسية هي: " جمع المعلومات والحقائق , اختيار المداخل وترتيبها طبقاً لنظام معين, كتابة المواد, ثم نشر النتاج النهائي , وهذا النتاج هو المعجم أو القاموس "[24].

وقد قامت صناعة المعاجم تاريخياً لأغراض عملية ولم تكن تطبيقاً لنظرية لغوية, ولم تكن هذه الصناعة حكراً على شعب دون آخر, فقد عرفت حضارات العالم المعاجم وأهمية صناعتها وحدأتْ إلى هذا اللون من النشاط اللغوي استجابة لاحتياجات عملية معينة, " فقد صنعت الحضارة الهندية معاجم خاصة بالمترادف والمشترك, وأقدم معجم لديها هو معجم (أماراكوسا) قبل القرن السادس ميلادي. كما عرف اليونانيون المعجمات وعكفوا على صناعتها, حيث وضع (أبولونيوس السكندري) معجماً خاصاً بألفاظ هومير الشاعر, كما وضع (يوليوس بولكس) معجماً مرتباً بحسب الموضوعات وقد ظهر الكثير منها في مدينة الإسكندرية على أيدي علماء القرون الأولى بعد الميلاد وهو العصر الذهبي للمعاجم اليونانية. وعرف أيضاً الصينيون مهنة صناعة المعاجم وأقدم ما وضع منها معجم (بوبيان) لمؤلفه (كوبي وانج) , وقد طبع سنة 530 بعد الميلاد , ومعجم آخر اسمه (شوفان) لمؤلفه (هوشن) , وأقدم نسخة له كانت سنة 150 قبل الميلاد[25].

أمّا إذا وجهنا الطرف نحو حضارتنا العربية فنجد أنّ العرب قد انتبهوا إلى فكرة المعجم في القرن السابع ميلادي وبداية التأريخ الهجري, حيث اعتنى المسلمون في تلك الفترة بمفردات القرآن وخاصة ما يسمى الغريب منها بالبحث في معانيها ودلالاتها اللغوية وقد كان ابن عباس رائداً في هذا النوع من التفسير وأحد شيوخه, ولا شكّ أن هذه الشروح والتفاسير لغريب القرآن والحديث قد كانت تهيئة أساسية للمعجمية العربية وصناعتها إلى أن ظهر أول معجم عربي لغوي عام على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-175هـ) وهو كتاب العين، الذي كان فاتحة لنشاط حركة التأليف المعجمي لمن بعده, والتي ازدهرت ازدهاراً ملحوظاً وعرفت عدداً ضخماً من المعاجم وأنواعاً كثيرة يكاد يفوق ما أنتجته الأمم الأخرى سواء في القديم أو الحديث. عن ذلك يقول هايوود Haywood: " إن العرب في مجال المعجم يحتلون مكان المركز , سواء في الزمان أو المكان , بالنسبة للعالم القديم أو الحديث وبالنسبة للشرق أو الغرب"[26], وهي شهادة أحد الغربيين المنبهرين بالتفوق العربي في مجال المعجم وبالسبق والتميز أيضاً.

وقد ظلّت هذه المقولة سارية المفعول حتى مطلع عصر النهضة حين تطورت صناعة المعاجم عالمياً وانتقلت بها من التقليد إلى الاحترافية, ومن الفن إلى الضوابط العلمية, وخضعت إلى مواصفات عامة, وإنشاء قواعد للبيانات بفضل الأجهزة الحديثة ومن ثَمّ الحصول على المادة وتحليلها وترتيبها وفق نظريات ومناهج وإجراءات مختلفة. وأهم الأجهزة الحديثة التي استخدمت في صناعة المعاجم الحواسيب والماسحات البصرية التي عوضت لوحة المفاتيح, وجعلت من الميسور تخزين صفحات كاملة من المادة المكتوبة في لحظات بطريق

المسح الضوئي, وتحويل الصورة الضوئية إلى إشارات إلكترونية يمكن معالجتها بواسطة الحاسوب, وهو ما يعرف كذلك باسم التعرف على الرموز بصرياً OCR. وقد ساعدت الأجهزة الحديثة صانع المعجم على:

- عمل إحصاءات ذات طبيعة لغوية .

- المعالجة والتجهيز السريع لقوائم أي نوع من الكلمات , وتصنيفها حسب الموضوعات أو أي معيار آخر.

- استخدام المادة المكوّدة لتسهيل الوصول إلى وحدات معينة في داخل الملف, مثل كل الألفاظ التي تقع تحت موضوع معين , أو كل الاشتقاقات أو المتضادات أو المترادفات ..

- إمكانية الحصر الشبه الشامل لأي مادة لغوية مستخدمة في أي عصر معين[27].

فتقدم بذلك المعجم عالمياً, ودخلت معظم اللغات عصر المعاجم الحديثة وتجمّد المعجم العربي ولم يراوح مكانه، وبذلك ابتعدت صناعة المعاجم في الدرس اللغوي العربي عن مسايرة التقدم الفكري والحضاري، الذي يشهده العالم بفضل تطور المناهج والنظريات الحديثة التي طفت على السطح وأثبتت وجودها خاصة في مجال علم اللغة. فإلى وقت قريب (في القرن العشرين) كان قد أهمل التركيبيون الأمريكيون صناعة المعجم وغضّوا الطرف عنها , وكانت الفونولوجيا والنحو وفروع أخرى من اللغة وِجهة اهتماماتهم , وانكبت عليها مختلف دراساتهم , أمّا المعجم فقد ظلّ كثير منهم ينظرون إليه على أنّه ملحق بالنحو أو قائمة من الاستثناءات الأساسية, إلى أن ظهرت نظرية الحقول الدلالية فردت العمل المعجمي إلى حظيرة علم اللغة، باعتبار أنّ هذه النظرية تعطي لمفردات اللغة شكلاً تركيبياً يستمد كلّ عنصر فيه قيمته من مركزه ونقطة وجوده داخل النظام العام، وتضع المفردات في شكل تجميعي تركيبي ينفي عنها التسيّب المزعوم واللانتظام في قاعدة واحدة[28].

" وقد شهد علم اللغة الحديث محاولات متعددة لتطبيق نظرية الحقول الدلالية, وكانت أهم هذه المحاولات وأجمعها تلك الخاصة بإعداد معاجم لغوية قائمة على فكرة الحقول الدلالية, على أن تشمل هذه الحقول كل مفردات اللغة"[29].

المطلب الثاني: معاجم الحقول الدلالية

بعدما أعادت نظرية الحقول الدلالية العمل المعجمي إلى حظيرة علم اللغة كون الأخيرة نابعة من صميم هذا العلم ودراساته, تسدي للمعجم مرة أخرى معروفاً, وذلك عندما قادت علماءها إلى التفكير في صناعة وعمل معجم يضم كافة الحقول الموجودة في اللغة , وتقدم فيه المفردات داخل كل حقل على أساس تفريعي تسلسلي

. وانطلاقاً من تلك الفكرة فقد بذلت وما زالت محاولات كثيرة لتصنيف معاجم متعددة للغات واللهجات الأوروبية، اعتماداً على نظرية الحقول الدلالية التي أعادت النظر في التطبيقات المعجمية، وقدمت لها خدمات جليلة, وأحدثت تحوّلاً جريئاً في منهجية البحث العلمي بناءاً ونقداً, خصوصاً في مسألة جمع الرصيد المفرداتي تفادياً للثغرات والفجوات المعجمية , ومسألة ترتيب المواد داخلياً وخارجياً ممّا يسهل عملية البحث, ومسألة تعريف المدخل الذي كثيراً ما كان يستعصي على المعجميين دقته لصعوبة تحديد المعنى وسرعة التطور والتغير في جانب المعنى, وتميز مفردته عن بقية مفردات الحقل[30].

" ... ومن أشهر المعاجم الأوروبية ذات التصنيف المبكر والتي قامت على أساس الموضوعات أو المفاهيم , وقبل أن تظهر نظرية الحقول الدلالية هو المعجم الذي قدمه روجيه (Roget) لكلمات اللغة الانجليزية وعباراتها بعنوان :

Rogt's Thesaurus of English words and phrases. وأشار في مقدمته أنّه مرتب لا على حسب النطق ولا على حسب الكتابة , وإنما على حسب المعاني . ووزع فيه المفردات على ستة مجالات دلالية رئيسية كل منها يعتبر مفهوماً عاماً وهي على النحو التال :

1- العلاقات المجردة 4- الفكر

2- المكان 5- الإرادة

3- المادة 6- العواطف

واشتملت هذه الأقسام الأساسية على تسعة وتسعين حقلاً دلالياً فرعيا"[31]. " وقد تأثر في ذلك بمقولة شاعت في القرن السابع عشر عن إمكانية تركيب لغة مثالية لتنظيم وتنسيق المعارف العلمية وتطويرها , كما تأثر ببحث شهير كتبه جون ولكينز (John Wilkins) عام 1668 بعنوان: (مقالات في الطبائع والفلسفة اللغوية)

Essay towards a RealCharacter and a Philosophical language, وقد قسّم ولكينز فيه المعارف البشرية إلى:

- العلاقات التجريدية - الأفعال
- العمليات والتصورات المنطقية
- الأجناس الطبيعية وأنواع الأشياء الحيّة وغير الحيّة

العلاقات الصرفية المادية بين أفراد الكائن الحي في الأسرة والمجتمع "[32].

المطلب الثالث: أنواع المعاجم المصنفة على أساس الحقول الدلالية

ومن المعاجم التي صنفت على أساس المفاهيم أو الحقول الدلالية ما يلي :

1- معجم اللغوي الفرنسي بواسيير (Boissiere) والموسوم بـ: المعجم القياسي أو التماثلي للغة الفرنسية (Dictionnaire Analogique de langue francaise) والذي نشر عام 1885م , وقد مزج فيه المؤلف بين النظام الحقلي للموضوعات والنظام الأبجدي ؛ حيث وضع رؤوس الموضوعات في وسط السطر , ورتّب تحتها المفردات ذات الصلة بالموضوع ترتيباً أبجدياً[33].

2 -ووضع اللغوي الألماني دور نسايف (Dornseiff) معجماً أسماه (Der deushe chatz nach sagh grupper)؛ أي الكلمات الألمانية في مجوعات مبوّبة , وطبع لأول مرة في ليبزخ عام 1933 , واشتمل المعجم على عشرين حقلاً أو مجالاً دلالياً رئيسياً , واحتوى كل حقل دلالي منها على مجالات فرعية تتراوح بين عشرين وتسعين مجموعة دلالية فرعية .

3- وفي اللغة الاسبانية ألّف كاسيرر (Cassirer) معجمه الموضوعاتي بذات اللغة ونشره عام 1942م[34].

4- وصنّف هاليج (Halling) ووارتبورج (Wartbugr) عام 1952م معجماً تميز بالطموح والتقدمية من ناحية المنهج, وأقيم على تصنيف دلالي وصف بالعالمية, وقسمت فيه المفاهيم على ثلاثة محاور رئيسية , وكلّ قسم منها يضمّ أقساماً فرعية وهي :

– **الكون أو العالم** : ويضمّ (السماء, الغلاف الجوي, الأرض, النبات, الحيوان)

– **الإنسان** : ويضمّ (جسم الإنسان, الفكر, العقل، الحياة الاجتماعية)

– **الإنسان والكون** : ويدخل فيه ما يتصل بالعلم والصناعة .

لكن ما يعيب هذا النوع من المعاجم المبكرة هو عدم ترتيب المادة المعجمية على أساس تسلسلي تدريجي[35].

5- ويعتبر معجم (Greek New Testament) ؛ أي العهد الجديد اليوناني أحدث معجم يطبق الحقول الدلالية, والذي يشرف على إعداده فريق من اللغويين لضبط وتحديد معاني الكلمات الواردة في المعجم. إذ يضم تحليل 15 ألف معنى من معاني العهد الجديد لِ 50 ألف كلمة مصنفة إلى 275 حقلاً, ووزعت معاني المعجم على أربعة موضوعات أو أقسام عامة, وهي :

1- الموجودات entities.

2- الأحداث events.

3- المجردات abstracts.

4- العلاقات relations.

وتحت كلّ قسم من هذه الموضوعات الأربعة نجد أقساماً صغرى, ويتفرع كلّ قسم صغير منها إلى أقسام جزئية أقلّ منها وهكذا ...، وعلى الرغم من قصور المعجم من ناحية عدم شمول مفرداته على جميع مجالات اللغة, إلاّ أنه يقدّم نموذجاً جيداً لمعاجم الحقول الدلالية أو المجالات التي تقوم على التصنيف المنطقي والأساسي التسلسلي[36].

تلك هي أهم معاجم الحقول الدلالية عند الغرب, كانت أغلبها محاولات لتطبيق نظرية الحقول الدلالية على اللغات الأوروبية والاستفادة منها في عمل معجم يضم كافة الحقول الموجودة في اللغة, وتعدّ هذه المعاجم في عملها أقرب إلى الشمولية في الموضوعات, وتشبه إلى حدّ ما المعاجم الموضوعية عند العرب مثل المخصص لابن سيدة, والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم, وفقه اللغة للثعالبي ... لقيام مؤلفيها بتغطية أكبر عدد من المفردات ضمن حقول دلالية.

ونجد إلى جانب هذه المعاجم أعمالاً دلالية عمدت إلى التصنيف الجزئي لحقول معينة ومحددة من المعجم, لتشبه هذه أيضاً نوعاً آخر من التأليف العربي وهو الرسائل اللغوية في الموضوع الواحد وهو ما يبيّن مرة أخرى أسبقية العرب المطلقة في هذا المجال. ومن هذه الأعمال الغربية ما يلي :

1- "حقل الحيوانات الأليفة وحقل السكن والذي قام على بحثهما جورج مونان (Mouinin) في كتابه مفاتيح علم الدلالة (Clefs pour la semantionque) تحت فصلين هما : -بنية معجم السكن Structure du la lexique de l'habiatation .

- حقل الحيوانات الأليفة Animaux le champ des domestiques .

2- دراسة اللغوي الفرنسي أندسون (Adenson), والتي صنّف فيها علاقات النباتات .

3- تصنيف كلود جردان (Claude Gardin) للأواني والأدوات, واعتمد في وصفهما على تحديد العناصر أو الملامح الدلالية لمعاني الكلمات"[37].

خاتمة:

– من الضروري دراسة العلاقات بين المفردات وبيان أنواعها داخل كل حقل؛ لأنّ ذلك يعد وسيلة خاصة عند علماء المعاجم لتحديد ماهية الكلمة وطبيعتها. وقد حصر اللغويون العلاقات داخل الحقل الدلالي في علاقة الترادف – علاقة الاشتمال أو التضمن – علاقة الجزء بالكل – علاقة التضاد – علاقة التنافر.

– إنّ نظرية الحقول الدلالية قد أحدثت تطوراً وتحوّلاً في منهجية البحث والعمل المعجمي بناءاً ونقداً، في إطار ما يسمى بالمعجمية الحديثة وقدمت للمعجم وصناعته خدمات جليلة، خاصة في مسألة جمع الرصيد المفرداتي من خلال حصر الألفاظ في مجالات دلالية محددة , والكشف عن الفجوات المعجمية والثغرات المفرداتية. ومسألة ترتيب المواد من خلال تسهيل تحديد حقل الكلمة، ومجال استعمالها وضبط المعنى المقصود من المشترك اللفظي, ومن ثمّ الترتيب وفق هذا المنظور. ومسألة تعريف المداخل، حيث يعتبر تعريف المداخل في حضور كلمات الحقل الواحد أنجع منهجية توصّل إليها الدرس المعجمي المعاصر؛ إذ ييسر تعريف جميع المداخل حتى تلك التي يستعصي شرحها وتوضيحها.

الهوامش:

[1] – أحمد عزوز : أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية , من منشورات إتحاد كتاب العرب دمشق 2002 (د.ط) ص08

[2] – – المرجع نفسه ص08

[3] – ينظر : أحمد عزوز : أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ص09

[4] – ينظر : المرجع نفسه , ص09

[5] – أحمد مختار عمر : علم الدلالة , عالم الكتب القاهرة مصر , ط5 , 1998م , ص79

[6] – المرجع نفسه , ص79

[7] – المرجع نفسه ص79

[8] – ينظر : أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص79

[9] – ينظر : أحمد عزوز : أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية , ص15-16

[10] – – أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص80

[11] – – ينظر : نواري سعودي أبو زيد : الدليل النظري في علم الدلالة , دار الهدى عين مليلة – الجزائر (د.ط) 2007 , ص130

[12] – سالم شاكر : مدخل إلى علم الدلالة , ترجمة : محمد يحياتين , ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (د.ط.ت) ص40

[13] – أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص82

[14] – ينظر : فريد عوض حيدر : علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية , مكتبة الآداب القاهرة , ط1 , 2005 , ص173

[15] – المرجع نفسه ص172

[16] – ينظر : أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص83

[17] – هادي نهر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي , تقديم : علي الحمد , دار الأمل للنشر والتوزيع إربد الأردن , ط1 , 2007 , ص564-565

[18] – أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص108

[19] – ينظر : المرجع نفسه ص110

[20] – أحمد عزوز : أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ص85

[21] – ينظر : أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص110

[22] – ينظر : المرجع انفسه، ص107

[23] – ينظر : أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص80-81

[24] – علي القاسمي : علم اللغة وصناعة المعجم , مطابع جامعة الملك سعود , ط2 , 1991 , ص03

[25] – – محمد علي عبد الكريم الرديني : المعجمات العربية دراسة منهجية , دار الهدى عين مليلة – الجزائر , ط2 (د.ت) , ص19-20

[26] – أحمد مختار عمر : صناعة المعجم الحديث , عالم الكتب مصر , ط1 , 1998 , ص27

[27] – ينظر : المرجع نفسه ص من 179 إلى 182

[28] – ينظر : أحمد مختار عمر : صناعة المعجم الحديث , ص30

[29] – محمد سعد محمد : في علم الدلالة , مكتبة زهراء الشرق القاهرة – مصر , ط1 , (د.ت) , ص50

[30] – ينظر : أحمد عزوز : أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية , ص85

[31] – المرجع نفسه ص86

[32] – أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص84

[33] – ينظر : أحمد عزوز : أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية , ص87

[34] – ينظر : المرجع نفسه، ص88

[35] – ينظر : أحمد مختار عمر : علم الدلالة , ص84-85

[36] – ينظر : المرجع نفسه،ص من 85 إلى 95

[37] – أحمد عزوز : أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية , ص91